

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[429] الأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُمْ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ). كان هذا طبعاً للمرحلة الأولى من الدعوة، وفي المراحل التالية أُلغيت مسائل القومية والوطن (الجغرافي)، وربّي الإسلام أبنائه على أساس مبادئ "العالمية" كوطن، و"الإنسانية" كقومية. بعد ذكر هذه النعمة يشير القرآن إلى أربع زعماء عادت على المسلمين ببركة هذه النبىء(صلى الله عليه وآله وسلم): 1 - (يَتَذَلُّوا عَلَيْهِمْ أَيَّامَ تَذَلُّا)، ويتلو من التلاوة، أي من إتيان الشيء متوالياً، والإتيان بالعبارات المتوالية (وبنظام صحيح) هي التلاوة. النبىء(صلى الله عليه وآله وسلم) إذن يقرأ عليكم آيات الله متتالية، لتنفذ إلى قلوبكم، ولإعداد أنفسكم إلى التعليم والتربية. 2 - (وَيُزَكِّىكُمْ). و"التزكية" هو الزيادة والإنماء، أي إنَّ النبىء بفضل آيات الله يزيدكم كمالات مادية ومعنوية، وينمّي أرواحكم، ويربّي في أنفسكم الطهر والفضيلة، ويزيل ألوان الرذائل التي كانت تغمر مجتمعكم في الجاهلية. 3 - (وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ). التعليم طبعاً مقدم بشكل طبيعي على التربية، ولكن القرآن - كما ذكرنا - يقدم التربية في مواضع تأكيداً على أنها هي الهدف النهائي. الفرق بين "الكتاب" و"الحكمة" قد يكون ملحوظ أن الكتاب إشارة إلى آيات القرآن والوحي الإلهي النازل على النبىء بشكل إعجازي، والحكمة حديث النبىء(صلى الله عليه وآله وسلم) وتعاليمه المسمّاة بالسنة. وقد يكون الكتاب إشارة إلى أصل التعاليم الإسلامية، والحكمة إشارة إلى أسرارها وعللها ونتائجها.